الفصل السابع

قصَّص الأطفال..وتنمية الذكاء

في حقيقة الأمر فإنَّ الأطفال ليسوا جميعاً سواء ، لكن بوجهٍ عام، فإن الطفل السليم يبدأ في عامه الثالث بالاستمتاع إلى القصَّص والحكايات التي تُحكى له، فينموّ عقليًّا وعاطفيًّا بعد أن نما جسميًّا وحركيًّا. ويمكن زيادة استمتاع الأطفال بالقصَّة من خلال:

١. توظيف الألعاب لتقوم بأدوار الأشخاص.

٢. تمثيل الأعمال التي نحدثهم عنها بحركاتٍ تشدهم إليها، وتُساعدهم على استيعابها.

٣. توظيف ألعاب جديدة أثناء سرد القصَّة التي يدور حولها الموضوع. ويُلاحظ أنَّ الطفل يستمتع بألعاب يتخيَّلها ، فهو يركب العصا وكأنَّها حصان، أو يُحارب بها كأنَّها سيف. ويساعد وجود الكتب بين أيدي سائر أفراد الأسرة على وجود ألفة بين الطفل والكتاب، ومن هنا تبرز أهمية وجود مكتبة في كُلّ بيت، حيث تشبع الكتب رغبة الطفل في إثراء قاموسه اللُّغوي، وتعمل على صقل مهارته في القراءة.

٤. وممَّا يُساعد على تقبُّل الطفل للمادة القصَّصية المكتوبة، وجود صور مبسطة محدودة ، يستطيع أن يتعرَّف عليها بسهولةٍ، مثل: القطة، الكلب، وما شابه ذلك من أشياء مألوفة لديه، فهو يتطلَّع دائماً إلى اختبار البيئة المُحيطة به، حيث أنَّه لا يستطيع أن يتفهَّم المواقف الغريبة عنه.

٥. يميل الطفل إلى القصَّص التي ينتصر فيها الخير على الشر، ويسود فيها العدل على الظلم، فيستشعر الراحة.

والقصَّص سواء أكانت منشورة أو غير منشورة مهمة للغاية لبناء ذكاء أطفالنا، فهناك من القصَّص ما تهتم بإثارة خيال الصَّغير من أجل رفع مستوي ذكائه، فبعض القصَّص تُقدِّم للصَّغير قانوناً من قوانين الطبيعة بشكلٍ مبسط في حكايةٍ مثيرةٍ للخيال، ومثيرة للضحك أيضاً، وتُعيد للأذهان القصَّة الطريفة التي تروي عن العَالِم الإغريقي «أرشميدس» (٢١٢-٢٨٧ ق.م) عندما خرج من الحمام وهو يصيح وجدتها وجدتها..

والقصَّة لها أهمية قصوى أقر بأهميتها في العمليَّة التربويَّة، رجال التربية والتعليم باعتبارها من أهم وسائل جذب الانتباه وإعداد الحواس لاستقبال والتقاط كُلّ ذبذبة الأحداث.

والقصص هي نوعٌ من الأدب المُحبَّب يميل إليها الإنسان بطبيعته، ويزداد شوقه إلي سماعها وتتبع أحداثها، وتحليل شخصياتها، كما أنَّها تحمل بين جنباتها معاني وصوراً من الحياة والحوادث يندفع إليها الإنسان لإرضاء حاجاته للبحث وحُبّ الاستطلاع، كما يجد فيها متعة، وتسلية، ومعرفة غير مباشرة بأسلوب شائق ومثير.

ولذلك.. يجب اختيار القصَّص التي تُنمِّي القدرات العقليَّة لأطفالنا، والتي تملأهم بالحُبِّ والخير والجمال والقيم الإنسانيَّة الرفيعة.

♦أهداف قصَّص الأطفال:

١. القصَّة تُثري لُغة الطفل، وتنشط ذهنه، وتُنمِّي ذكاءه.

٢. القصَّة مفتاح لاستكشاف هواية الطفل ورغباته الشخصيَّة.

٣. من خلال القصَّة يمكن أن تُغذي الطفل بالقيم الروحيَّة والمبادئ السامية.

٤. القصَّة تُثري مفردات الطفل اللُّغويَّة وتصقل أسلوبه.

٥. القصَّة توسع آفاق تفكيره.

٦. القصَّة متعة وإشباع نفسي وعاطفي للطفل.

٧. القصَّة تملأ فراغ الطفل بما يُفيد.

إذاً.. فللقصَّة أهمية قصوى في عملية تنشئة الطفل وتربيته،لأنَّه في هذه المرحلة هو بحاجةٍ إلى مَنْ يُساعده على تحقيق النموّ السليم المتكامل في مختلف النواحي، وهو بحاجةٍ كذلك، إلى بيئةٍ تُهيئ له جوَّاً اجتماعيَّا وثقافيَّا ومواقف مناسبة للخبرة.

♦المجالات التي تدور حولها قصَّص الأطفال:

أولاً: النواحي الثقافيَّة:

تقديم معلومات عامَّة وحقائق مختلفة عن حياة النَّاس وشؤون الحياة والمجتمع في بيئة الطفل والبيئات الأخرى، وتعريف الأطفال بجذورهم الثقافيَّة وتراثهم المجيد.

ثانيًا: النواحي الخُلُقيَّة:

تبصير الأطفال بالقيم الخُلقيَّة الفاضلة وتنمية إعجابهم وتقديرهم وحُبَّهم للصفات الطيبة والأبطال الأخيار، ونفورهم من الصفات المذمومة وجوانب الانحراف الخُلُقي.

ثالثًا: النواحي الروحيَّة:

لتحقيق التوازن بين الاتجاهات الماديَّة السائدة في العصر الحديث وبين القيم الدينيَّة الروحيَّة كي تتسم شخصيات الأطفال بالسويَّة، فالجانب الروحي مهم للطفل لأنَّه أساس سعادته واستقراره النفسي حتى أنَّ الكاتب البريطاني «برايان ابليارد» قد كتب في كتابه الذي أحدث ضجة كبيرة لدى العلماء والمفكرين: «فهم الحاضر العلم والروح لدى الإنسان المعاصر»، والذي صدر في لندن عام ١٩٩٢،حيث قال: « إنَّ تقليص دور الدين الذي صاحب (عصر النهضة) في أوروبا قد أثمر مواقف وسلوكيات وسياسات

وأنظمة حكم في القرن العشرين نجمت عنها الرأسمالية التي غلَّبت الجانب المادي على أي شيء، والشيوعية التي استغنت تماماً عن الجانب الروحي، بالإضافة إلى النازية والفاشية والعنصرية والنزعات المتطرفة، كُلّ هذه الفلسفات حاربت الدين الذي يقوم في جوهره على التسامح والعدل والرَّحمة والإخاء ورفض الطغيان والعنف والتطرُّف، كان ميراث هذه الفلسفات الفاسدة التعاسة للنفس الإنسانيَّة ».لهذا كان ضروري تنشئة الأطفال وتغذيتهم على الدين وقيمه عبر القصَّص.

رابعًا: النواحي الاجتماعيَّة والقوميَّة:

تعريف الطفل بمجتمعه ومقومات هذا المجتمع وأهدافه ومؤسساته وما يجب أن يسود فيه من قيم وصفات اجتماعيَّة. وأن يعرف الطفل وطنه الصَّغير والروابط التي تربط وطنه بالوطن العربي الكبير.

خامسًا: النواحي العقليَّة:

لكي تتاح للطفل من خلال الإنتاج الأدبي المناسب فرص طيبة لنشاط عقلي مثمر في مجالات التخيُّل، والتذكُّر، وتركيز الانتباه، والربط بين الحوادث ،وفهم الأفكار والحكم على الأمور، وحسن التعليل والاستنتاج.. وما إلى ذلك ممَّا يُساعد على نموّ هذه العمليات العقليَّة وتطويرها.

سادسًا: النواحي الجماليَّة:

١. تقديم المعاني والأخيلة التي تستهوي الأطفال.

٢. تقديم الأساليب الأدبيَّة الجميلة.

٣. تقديم المعلومات الفنيَّة التي تُثري حصيلة الأطفال عن الفنّ وألوانه، والفنانين وأعمالهم.

٤. تقديم الصور والرسوم والألوان والمناظر والموسيقى.

سابعًا: النواحي الترويحيَّة:

قصَّص الأطفال وسيلة شيِّقة وممتعة لشغل فراغ الأطفال وتسلية مُحبَّبة تجلب لهم المسرة والفرح بشرط ألاَّ يكون هذا على حساب القيم والمُثل والاتجاهات الحميدة، أو على حساب الذين يمثلون هذه القيم كالآباء والمُعلِّمين ورجال الدين.

♦ **ماهية القصَّة المثالية للطفل:**

يرغب الطفل في قراءة القصَّة التي تتوفر فيها المميزات التالية:

١. أن تكون بسيطة، سهلة الأسلوب، واضحة وبعيدة عن الأخطاء والغموض.

٢. تمتلك مقومات فنيَّة جيدة وحبكة تظهر المضمون بشكل مترابط ومفهوم.

٣. أن تُجسِّد الكائنات الحيَّة والطبيعة، وتُشعره بشكلٍ محسوس أنَّه قادر على أن يسمع ويرى ويتفاعل مع هذه الكائنات فيتعرَّف على هذه المخلوقات المتمثلة في: الحيوانات، النباتات، الغابات، البحار.. لتضيف إليه خبرات في الحياة ولتضفي على روحه نوعاً من المتعة والسرور.

٤. أن يكون العرض شيِّق، والأسلوب جذاب.

♦كيف تكون قراءة القصَّص للطفل مثمرة ومفيدة ؟

- مشاركة الأطفال مشاركة حيوية فاعلة، فكُلَّما أظهر الآباء أو الأمّهات الحماس للقراءة للطفل ازداد استمتاعه بقراءة القصَّة.
- أثناء القراءة يفضل تمرير الأصبع تحت الكلمات وذلك للربط بينها وبين أحداث القصَّة.
- ترك الوقت الكافي للطفل كي يتفحَّص الرسومات أو الصور، مع تحفيزه المستمر للتعليق عليها.
- تشجيع الطفل على المشاركة في القراءة في حال وجود جمل متكررة في النص.
- ربط أحداث القصَّة بالأحداث المماثلة في حياة الطفل.

- التوقف عن القراءة للرد على أسئلة الطفل واستفساره فهي فرصة للتعرُّف علي ما يدور في ذهنه من أفكار.
- تجنُّب انتقاد الطفل أو توبيخه لعجزه عن القراءة أو الاستيعاب.
- في أثناء القراءة وفي حال سؤال الطفل عن معنى إحدى الكلمات، لابدّ من شرح المعنى فوراً كي لا يحدث انقطاع في تسلسل أحداث القصَّة، وألاَّ يُطلب منه تهجئة الكلمة. أمَّا إذا بادر الطفل إلى تهجئة الكلمات فلنرحب بهذا ولا نعترض.
- إذا أراد الطفل أن يُعيد كتابة القصَّة نعطي له المجال لفعل هذا، ونوجهه إلى كتابتها عبر الحاسوب أو عبر الورقة والقلم.
- إذا ارتجل الطفل أثناء القراءة مستعملاً كلمة مكان أخرى دون أن يحدث ذلك تغييراً في المعنى كاستعمال كلمة (شارع) بدلاً من (طريق) فلا يجوز أن نقطع عليه قراءته بداعي التصحيح، أمَّا إذا تغيَّر المعنى فلنطلب من الطفل معاودة القراءة بسبب عدم فهمنا للمقطع الذي تمت قراءته.
- بعد استمتاع الطفل بقراءة القصَّة ولدى معاودة قراءتها مرَّة أخرى فينبغي التركيز على تصحيح الأخطاء اللفظية والمزيد من شرح معاني الكلمات.

- في كُلّ الأحوال يجب تشجيع الطفل والثناء عليه على ما يقوم به، لأنَّ ذلك هو الأساس لتشجيعه علي ممارسة هذه الهواية المفيدة المثمرة باستمرار.

♦ كيف يمكننا تعزيز مهارة قراءة القصَّص عند الطفل ؟

- شجع الطفل على حمل القصَّص لدى مراجعة الطبيب مثلاً، أو الجلوس في القطار أو السيارة لوقتٍ طويل، أو في أي موقف يضطره إلى الانتظار.

- إذا شعر الطفل بحاجته إلى إعادة قراءة نفس القصَّة لمدة يومين نتيجة استمتاعه بها لا بأس في ذلك فلا نمنعه أو نضغط عليه بل نعطيه مطلق الحُرِّيَّة.

- عند قراءة القصَّص للطفل يجب التفرُّغ التام له وذلك بإغلاق أجهزة الهواتف النقالة أو التلفزيون، والانتباه إليه.

- في البيت يجب تحديد وقت يومي للقراءة قبل النوم أو بعد الغداء، وفي المدرسة فليمارس الطفل هذا النشاط في حصَّة القراءة الحُرَّة، أو في مكتبة المدرسة.

- تشجيع الطفل على المشاركة في المسابقات الأدبيَّة.

- تشجيع الطفل على المشاركة في الأنشطة المدرسيَّة كنشاط الإذاعة، أو إلقاء قصائد الشعر، أو التمثيل.

- يمكن من خلال قراءة القصَّص للطفل تنمية التفكير النقدي لديه وهو أحد وأهم أنماط التفكير التي يمتاز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات. والتفكير الناقد عبارة عن مجموعة من المهارات الذهنيَّة الموجودة في العقل البشري، ولكن هذه المهارات تختلف في كفاءتها من شخصٍ لآخر حسب التطوُّر الذي وصلت إليه المهارات معتمدة بذلك على الممارسة والتدريب ويظهر في طلبة المدارس والجامعات، ومن هنا ينبغي على الأنظمة التعليميَّة والأكاديمية أن تطوِّر مهارات التفكير عبر مناهج التعليم بدلاً من طريقة الحفظ والتلقين السائدة في مدارسنا، والتي قوضت الإبداع والابتكار، وقضت على العقلية البحثية والتي هي أساس تنمية المجتمعات وتطورها.

فعند سرد القصَّة يمكن للسَّارد (أب أو أم ، أو مُعلِّم، أو أمين مكتبة) أن يطلب من الطفل وضع حل للمشكلة أو العُقدة التي يقع فيها بطل القصَّة، أو اختيار نهاية مختلفة ومخارج لبعض المعضلات التي تقدح شرارة التفكير في ذهنه ويعمل على ربط الأحداث وتحليلها في عقله ليقف على الحلِّ عبر استنتاجه الخاص، أو يتم نقد الشخصيات الواردة في القصَّة وتقييم أداءها ورؤيتها وقيمها. وهذا كُلَّه بهدف تدريب الطفل علي النقد والتحليل، أو بمعني آخر تحريضه علي ما يُسمي بعملية « العصف الذهني»، وتوارد الأفكار في ذاكرته للوصول إلى حلول متنوعة ومبتكرة.